ملخص الحلقة الرابعة (التطهير) من سلسلة

الحروب الصليبية

انتاج الجزيرة الوثائقية

إعداد

معتز عبد الرحمن

مقدم إلى

الأستاذ الدكتور: ماهر أبو منشار

1- عن سلسلة (الحروب الصليبية)

في عام 2016م انتجت قناة الجزيرة الوثائقية سلسلة بعنوان (الحروب الصليبية) تعرض تاريخ تلك المرحلة الهامة التي امتدت لنحو قرنين من الزمان، اعتمدت السلسلة على دعوة عدد كبير من أساتذة التاريخ المتخصصين في هذه الحقبة لسرد أهم أحداثها ومحطاتها، شمل ذلك أساتذة مسلمين وغير مسلمين، عرب وأوروبيين، مع مزيج من المشاهد التمثيلية التي تجذب المشاهد وتقرب له الصورة، وخرجت السلسلة في أربعة حلقات رئيسية تحت عناوين:

- الصدمة.
- الصحوة.
- الوحدة.
- التطهير.

2- الحلقة الرابعة (التطهير)

وقد وقع اختياري على عرض وتلخيص الحلقة الرابعة (التطهير) وذلك لأن هذه المرحلة هي الأكثر خفاء عن كثير من المسلمين حاليا، فمعرفة تاريخ الاحتلال الصليبي ينقطع عند كثير من المسلمين عند مرحلة حطين وتحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي، ومن تمتد معرفته بعد ذلك قليلا قد تصل إلى (صلح الرملة) الذي عقده صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد، بينما كانت تلك الأحداث هي وسط الطريق فقط، إذ امتد الاحتلال الصليبي بعدها لنحو قرن آخر، بل لم يكن التحرير الصلاحي لبيت المقدس هو التحرير الأخير الذي امتد حتى وقوع الاحتلال الصهيوني الحالي كما يعتقد الكثيرون، وإغفال تلك المرحلة الهامة الطويلة يحرم الأجيال المعاصرة والقادمة من دروس كثيرة.

3- عرض وتلخيص الحلقة

- كسائر حلقات السلسلة، تبدأ الحلقة بتلخيص سريع للأحداث التي مرت في الحلقات السابقة حتى تصل لحدث البداية الخاص بالحلقة وهو (بداية استراتيجية جديدة في الهجوم على الشرق على يد البابا إينوسينت الثالث وهي السيطرة على مصر أولا للسيطرة على الشام).
- أراد إينوسينت الثالث إعداد حملة صليبية جديدة (رابعة) تعوض فشل الحملة الصليبية الثالثة، ولكن فشلت الحملة في الحصول على وسائل نقل، ولما عجز الكثيرون من دفع أجر السفر للبحارة البنادقة، وقع الاتفاق على مهاجمة القسطنطينية بدلا من التوجه إلى مصر، وذلك لنهب ثرواتها، وارتكبت فيها الكثير من المذابح المشينة، وباركت البابوية الكاثوليكية تلك الحملة ضد الكنيسة الأرثوذكسية.
- على الناحية الأخرى، كانت مصر والشام والعراق تحت حكم خلفاء صلاح الدين، والذين كانوا على غير شاكلة مؤسس دولتهم، فانشغلوا بصراعاتهم الداخلية ولم ينتهجوا نفس منهج صلاح الدين التحريري.
- تم إرسال حملة صليبية خامسة إلى مصر للاستيلاء عليها وعلى ثرواتها، ولكنها فشلت لعدم دراية الصليبيين بطبيعة الأرض المصرية خلال فيضان النيل.

- توجهت البابوية إلى الامبراطور فردريك الثاني تطالبه بالتوجه بحملة صليبية جديدة نحو الشرق، ولكنه تجاهل الدعوة لفترة طويلة حتى رمي بالحرمان الكنسي.
- لم يرد الامبراطور الدخول في تلك المعركة، حتى جاء دعوة من البيت الأيوبي (الكامل) نفسه للاستعانة به على أبناء عائلته مقابل أن يسلمه (بيت المقدس) دون قتال، ومنع الأذان في المسجد الأقصى إكراما للامبراطور.
- استرد الناصر داود بن المعظم في 1239م، ثم سلمها الصالح إسماعيل للصليبيين مرة أخرى 1240م، ثم حررها الخوارزمية في 1244م.
- مرض الملك الفرنسي لويس التاسع، فنذر إن عوفي أن يقود حملة صليبية جديدة نحو الشرق، واستهدف مصر كي يسيطر لاحقا على بيت المقدس، وعند وصول الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع كان هناك فئة عسكرية جديدة وهي المماليك.
- في معركة المنصورة، وقع لويس التاسع وجيشه في فخ المماليك، ووقع لويس التاسع في أسر المماليك.
- بينما يخطو المماليك خطواتهم الأولى في الحكم، وصل الهجوم المغولي بتعاون مع الصليبيين إلى مشارف مصر والتي كانت تحت قيادة حديثة للسلطان سيف الدين قطز.
- رفض المماليك التسليم، وخرجوا إلى عين جالوت لملاقاة المغول، وانتصر المماليك والمصريون في تلك المعركة الشهيرة عام 1260.
- قتل قطز بعد المعركة وتولى بيبرس السلطنة، ويعتبر حكم بيبرس هو البداية الفعلية لدولة المماليك.
- رفع السلطان بيبرس لواء الجهاد ضد بقايا الوجود الصليبي من جديد واستمر في ذلك طوال مدة حكمه الذي امتد لنحو سبعة عشر عاما.
- بدأ الظاهر بيبرس في القضاء على القلاع الصليبية بين مصر والشام لأنهم كانت تمثل نقط ارتكاز الصليبيين ونقط حماية المدن.
- حرر بيبرس (أنطاكية) والتي كانت بمثابة بيت المقدس عند الصليبيين لا سيما وأنها بقيت تحت الاحتلال الصليبي منذ الغزو الأول قبل 170 عام.
- بدأت الممالك الصليبية الباقية تخطب ود الظاهر بيبرس، واختار بيبرس ابن عبد الظاهر ممثلا ديبلوماسيا له في المفاوضات مع ملك عكا.
- لم يتبق مع الصليبيين بعد عهد الظاهر بيبرس سوى سلسلة من المدن الساحلية محاطة من كل النواحي بالدولة المملوكية.
- صلاح الدين والظاهر بيبرس

وجه المقارنة	صلاح الدين الأيوبي	الظاهر بيبرس
الإنجازات الكبرى	تحرير بيت المقدس	تحرير إنطاكية
العرق	غير عربي (كردي)	غير عربي (مملوكي من آسيا)
الديبلوماسية والحرب	مثقف/ديبوماسي أكثر منه محارب	محارب أكثر منه ديبلوماسي

- استكمل السلطان المنصور قلاوون الطريق، وأسقط طرابلس 1289م، وساعده إسقاط بيبرس سابقا للحصون المحيطة بها، مما يعكس اتصال مشروع التحرير واعتماد كل خطوة على الخطوات السابقة.
- لم تتدخل أوروبا لإنقاذ بقايا الصليبيين في الشرق لانشغالها بنزاعاتها وتغيراتها الداخلية.
- خرج المنصور قلاوون ليحرر عكا إلا أنه اشتد به المرض في الطريق، واختار ابنه الأشرف خليل بعد رفض وتردد خوفا من شدته ونزقه، حتى اضطر إلى اختياره بعد وفاة ولي العهد (الابن الآخر)، فتولى ابنه بعد قسم الابن باستكمال التحرير، وقسم المماليك بطاعته.
- حشد الأشرف خليل جيوشه من شتى الإمارات التابعة له وتوجه إلى عكا، وبدأت معركة الحياة والموت الأخيرة بين المسلمين والصليبيين.
- سقطت عكا والمحيط الصليبي التابع لها عام 1291م، وبه تنتهي الحركة الاستيطانية الصليبية بالكامل بعد نحو قرنين من الزمان.

مكتسبات أوروبا الحضارية من الحملة الصليبية	مكتسبات العالم الإسلامي الحضارية من الحملة الصليبية
مجال التكتيكات العسكرية والتسليح	القلاع والمباني ونماذجها المعمارية
انتقال الزراعة والمحاصيل مثل قصب السكر	
الأطباء والصيادلة وعلوم العقاقير	
العديد من الصناعات	
بدء حركة الاستشراق ونقل العلوم الإسلامية والعربية	

- لم يعرف مصطلح الصليبية إلا في أواخر القرن الثاني عشر، قبل ذلك كانت توصف بحركة (الرب)، أما المسلمون فقد أطلقوا عليها حركة (الإفرنج) وهم سكان فرنسا، وهو ما استخدمه المؤرخون المسلمون.
- لا تزال أوروبا تفتخر وتعتز بتلك الحملات وتستخدم مصطلحاتها في النواحي الإيجابية كالحملات الطبية، كذلك في الفنون والأدب والمسرح والسينما.
- أثرت الحروب الصليبية سلبا على مسرح الأحداث في الشرق حيث استنفدت الكثير من طاقاتها، كما ظل استخدام الأوروبيون لفكرة الصليبية في حملات الاستعمار اللاحقة بما فيها ذلك المشروع الصهيوني في فلسطين.

4- خاتمة

كما سبق ذكره، تميزت سلسلة الحروب الصليبية بتنوع المصادر والإخراج الجذاب وأسلوب السرد الجامع بين غزارة المعلومات والإمتاع، إلا أن طول مدة الاحتلال الصليبي وتشابك أحداثها يستعصي على التلخيص في أربعة حلقات فقط، مما جعل هناك قفزات زمنية وتاريخية كثيرة يحتاجها القارئ العامي، كما ضيق أيضا مساحة استخراج الفوائد من الأحداث، فيجدر النصح:

أولا للعاملين في مجال الانتاج الوثائقي بأن يقدموا أعمالا أخرى تغطي ما لم يكن تغطيته في هذا الوثائقي.

وثانيا للمشاهدين والمتابعين لهذا الانتاج بأن يعلموا أن لا يزال الغائب عنهم في تلك الحقبة كثير، وأن الاستزادة الفردية والشخصية هامة جدا لمن أراد أن ينظر إلى الواقع والمستقبل من خلال أحداث ودروس التاريخ.